جسور الأنبار الخشبية 1950–2026

م. م. مصطفى حازم مطر محمد

وزارة التربية– المديرية العامة لتربية الانبار

mbjwhuw@gmail.com

تاريخ الاستلام 2026/4/26 تاريخ القبول 2026/6/7 تاريخ النشر 2026/8/30

الملخص:

شكلت الجسور الخشبية في محافظة الأنبار عنصراً أساسياً في شبكة النقل البري لربط الأقضية والنواحي على ضفاف نهر الفرات خلال المدة 1950–2026. تهدف الدراسة إلى تتبع مراحل إنشاء الجسور الخشبية وتطورها واستبدالها، وتقييم دورها في الحركة التجارية والاجتماعية بالمحافظة، اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحلي، بالاعتماد على الوثائق الأرشيفية، وسالنامات ولاية بغداد، وتقارير الإدارة المدنية، والمقابلات الشفهية مع سكان المنطقة، توصلت الدراسة إلى أن الجسور الخشبية كانت حلاً مؤقتاً وسريعاً لربط المناطق الريفية، لكنها تميزت بقصر العمر الافتراضي وضعف التحمل أمام الفيضانات والحروب. وتوصي الدراسة بتوثيق البقايا المادية والشفوية لهذه الجسور واعتمادها ضمن التراث الهندسي المحلي، ودمجها في خطط التنمية المستدامة للبنية التحتية في الأنبار.

الكلمات المفتاحية: الجسور، الأنبار، الخشبية، الفرات، تاريخية.

Wooden Bridges of Anbar 1950–2026

Assist. Lect. Mustafa Hazem Matar Mohammed

Ministry of Education- General Directorate of Anbar Education

Abstract:

Wooden bridges in Anbar Governorate formed an essential part of the land transport network, connecting districts and sub-districts along the Euphrates River from 1950 to 2026. The study aims to trace the construction, development, and replacement of these bridges, and to evaluate their role in the commercial and social mobility of the governorate, The research adopted a descriptive-analytical historical method, relying on archival documents, Baghdad Vilayet yearbooks, civil administration reports, and oral interviews with local residents, The study found that wooden bridges served as a temporary and rapid solution for linking rural areas, but suffered from a short lifespan and low resistance to floods and conflicts. It recommends

documenting the remaining physical and oral evidence of these bridges as part of the local engineering heritage, and integrating them into sustainable infrastructure development plans for Anbar.

Keywords: Bridges, Anbar, Wooden, Euphrates, Historical.

المقدمة:

شهدت محافظة الأنبار تحولاً في بنيتها التحتية التقليدية ارتبط ارتباطاً مباشراً بالجسور الخشبية على نهر الفرات، التي نظمت حركة الأفراد والبضائع وربطت بين التجمعات السكانية المتباعدة جغرافياً. ومع التغيرات البيئية والسياسية والعمرانية التي شهدتها المنطقة خلال هذه المدة، تعرضت هذه الجسور للاندثار التدريجي، وتحولت من واقع مادي إلى مادة للذاكرة الشعبية والرقمية. ويقتضي ذلك إعادة قراءة تاريخها ودورها ضمن سياقها الأنثروبولوجي والاجتماعي قبل أن تطوى نهائياً مع رحيل الجيل الشاهد.

شكلت هذه الجسور عنصراً وظيفياً واجتماعياً أساسياً في شبكة النقل المحلي على ضفاف نهر الفرات خلال المدة المذكورة. فعلى الرغم من طابعها المؤقت ومحدودية عمرها الافتراضي، أسهمت في ربط الأقضية والنواحي وتسهيل حركة الأفراد ونقل المحاصيل، مما جعلها جزءاً من الذاكرة الجماعية للمنطقة. ومع التوسع العمراني وتكرار الفيضانات والحروب، تعرض معظمها للاندثار أو الاستبدال بجسور كونكريتية دون توثيق منهجي لتاريخها ودورها.

وتأتي هذه الدراسة لسد النقص في توثيق وتحليل مسار الجسور الخشبية في الأنبار، من حيث نشأتها، وتحولاتها الوظيفية والثقافية، وعوامل تراجعها واندثارها، وقراءتها بوصفها بنى مادية حاملة للمعنى الاجتماعي والرمزي في آن واحد.

واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي الأنثروبولوجي، وجمعت بين الوثائق الرسمية والتاريخ الشفهي عبر 14 مقابلة ميدانية 2025، وتحليل محتوى رقمي لثلاث مجموعات فيسبوك 2020–2025.

مشكلة البحث:

كيف تحوّل الجسر الخشبي من "مكان معيش" Milieu de Mémoire إلى "مكان متخيّل" Lieu de Mémoire؟ وما دلالات هذا التحول على علاقة المجتمع بالمكان؟

أهمية البحث:

1- أكاديمية لسد نقص مكتبي في دراسات العمارة الشعبية بالأنبار.

2- توثيقية إنقاذية لخبرات "الأسطوات" الذين تجاوزوا 80 عاماً.

3- تطبيقية لطرح مقاربات تحويل الحنين الرقمي إلى حفظ مؤسساتي.

منهج البحث:

تاريخي-أنثروبولوجي قائم على:

1- الوثائق وأرشيف البلديات.

2- التاريخ الشفهي 14 مقابلة ميدانية آب-أيلول 2025.

3- تحليل محتوى رقمي لمجموعات "أهل الرمادي القديمة"، "صور من هيت"، "البغدادي تاريخ وصور" 2020-2025.

المبحث الأول: التأصيل التاريخي والعمراني للجسور الخشبية في الأنبار 1950-2003

المحور الأول: النشأة والتوزيع الجغرافي للجسور الخشبية في الأنبار

1- الجذور التاريخية لنشأة الجسور الخشبية إلى عام 1950:

لم تظهر الجسور الخشبية فجأة في منتصف القرن العشرين، بل كانت تتويجاً لتطور طويل في تقنيات العبور المحلية. فقبل 1950 سادت ثلاث وسائل رئيسة: "الكَلَك" وهي طوافات مصنوعة من جلود الماعز المنفوخة ومربوطة بأعواد التوت، واستخدمت لنقل الأشخاص والبضائع الخفيفة[1].

و"الچنابر" أو "العبّارات" وهي منصات خشبية كبيرة تُسحب بالحبال بين الضفتين، وكانت مملوكة لعائلات تتوارث المهنة وتتقاضى أجوراً عينية [2]. و"المخاضات" وهي أماكن ضحلة من النهر تُعبر مشياً في مواسم الصيهود.

لكن مع تزايد الاستقرار السكاني واتساع الرقعة الزراعية بعد الحرب العالمية الثانية،وبدء الدولة بتوزيع الأراضي الزراعية في مشروع المسيب والأنبار، ظهرت الحاجة الماسة إلى معابر ثابتة تتحمل العربات والجرارات[3]. ويذكر الرواة أن أول جسر خشبي بمواصفات "شبه هندسية" في الرمادي أُنشئ عام 1953 قرب منطقة الصوفية بمبادرة من وجهاء عشيرة البوفهد، وكان بطول 120م وعرض 2.5م فقط[4]. أما في هيت فقد أُعيد بناء جسر خشبي عام 1951 على أنقاض جسر قديم دمّره فيضان 1946[5].

2- زيادة عدد الجسور الخشبية حتى عام 1970:

ارتبطت طفرة إنشاء الجسور الخشبية 1950-1970 بثلاثة عوامل متداخلة:

أ. العامل الزراعي: شجعت خطط مجلس الإعمار الملكي زراعة القطن والشعير في "صوب الجزيرة" غرب الفرات. وكان نقل المحصول إلى مراكز التسويق في "صوب الشامية" يتطلب معبراً ثابتاً لا يتأثر بانحسار العبّارات شتاءً [6]. لذا موّلت بعض الإدارات المحلية 30% من كلفة الجسر مقابل تعهد العشائر بالصيانة[7].

ب. العامل الإداري: احتاجت دوائر الطابو والمال والشرطة للوصول إلى القرى البعيدة لتحصيل الضرائب وتبليغ الأوامر، خاصة بعد ثورة 1958 وتوسع سلطة الدولة[8].

ج. العامل العسكري: بعد حرب 1948، أدرك الجيش أهمية وجود معابر بديلة للجسور الحديدية القليلة التي يسهل قصفها. فشجعت الوحدات الهندسية العشائر على بناء جسور خشبية "احتياطية" في نقاط غير مكشوفة[9].

وبحلول عام 1970 تم إحصاء 11 جسراً خشبياً رئيساً و23 جسراً فرعياً على امتداد الفرات من القائم إلى الفلوجة. وكانت الكثافة الأعلى في أقضية هيت 4 جسور، والرمادي 3 جسور، وحديثة 2 جسر، بسبب اتساع النهر وكثافة القرى الزراعية.

3- أهم الجسور الخشبية الكبرى:

أ. جسر الرمادي الخشبي/جسر التأميم: أُنشئ 1955 وطُوّر 1963. يربط مركز المدينة بحي التأميم والطريق إلى الصوفية. بلغ طوله 180م وعرضه 3.5م وارتفاعه عن الماء 4م شتاءً. ارتكز على 22 "صندل" خشبي مغمور ومثبت بالحجارة. وكان الوحيد الذي يُسمح بمرور سيارات "البيكب" الصغيرة عليه حتى 1982[10]. تم تفجيره آذار 2006[11].

ب. جسر هيت الخشبي: أُنشئ 1951 على أنقاض جسر حجري عثماني دمره فيضان 1946. تميز بموقعه تحت قلعة هيت مباشرة، فصار أيقونة بصرية للمدينة. طوله 140م. وكان له "باب" خشبي يُغلق ليلاً منعاً للتهريب[12]. أُزيل 1995 واستُبدل بحديدي.

ج. جسر البغدادي: أُنشئ أوائل الستينات. الممر الوحيد لجزيرة البغدادي الزراعية التي يقطنها 4000 نسمة. لذا اكتسب أهمية استراتيجية ومعيشية، وكان قطعه يعني مجاعة الجزيرة (أرشيف صور آل الكبيسي). طوله 210م وهو الأطول. صمد حتى تم تفجيره 2005.

د. جسر حديثة القديم: ربط مدينة حديثة بقرى "بريت" الزراعية. انهار 1968 وأُعيد بناؤه بسواعد الأهالي دون دعم حكومي، مما كرّسه كرمز للاعتماد على الذات[13].

4- السمات المعمارية والطرق الإنشائية والصيانة للجسور الخشبية.

مثلت الجسور الخشبية في مدن الفرات الأوسط حلاً عمرانياً ارتبط بالبيئة النهرية واستخدام المواد المحلية، وكانت تعكس قدرة المجتمع على التكيف مع المعطيات الجغرافية قبل انتشار الإنشاءات الكونكريتية[14].

المحور الثاني: دور الجسور الخشبية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

1- دور الجسور الخشبية في الحياة الاقتصادية:

اعتمد البناء على ثلاث مواد محلية رئيسة: خشب "التوث" لصلابته العالية ومقاومته للتعفن، ويُستخدم للركائز والروافد الحاملة. وخشب "الغرب" لمرونته، ويُستخدم لألواح السطح. وجذوع النخيل بعد تشذيبها وتجفيفها، وتُستخدم كروافد ثانوية[15]. أما التثبيت فكان بالمسامير الحديدية الضخمة "المسلات" التي يصنعها الحدادون المحليون، والحبال المجدولة من ليف النخيل المطلي بالقير لمنع التآكل.

تكون البنية من ثلاثة مستويات:

الأول: الركائز "الصناديل": جذوع توث سميكة تُغرس في قاع النهر بعمق 3-4م باستخدام "المدقات" الخشبية الثقيلة. وتُثبت بمجموعات من 3 جذوع على شكل مثلث لزيادة الثبات. المسافة بين كل صندل وآخر 6-8م[16].

الثاني: الروافد "الجسور": جذوع طويلة تربط بين الصناديل عرضياً، وتشكل الهيكل الحامل.

الثالث: السطح "الدوسة": ألواح من خشب الغرب بعرض 20 سم ترص متجاورة، وتُترك بينها فراغات 1 سم لتصريف مياه الأمطار. عرض الجسر القياسي 3-3.5م ليسمح بمرور عربة وحيوان جنباً إلى جنب. وكان القير يُصبغ به السطح سنوياً لسد الفراغات ومنع صرير الخشب وإطالة عمره[17].

2- دور الجسور الخشبية في الحياة الاجتماعية والثقافية:

لم تكن هناك مخططات هندسية مرسومة، بل "خريطة ذهنية" و"معرفة شفهية" يتوارثها "أسطوات" من 5 عائلات رئيسة في هيت وحديثة وعنه. و"الأسطة" ليس مجرد نجار، بل مهندس بيئي ومستشعر اجتماعي[18]. فهو المسؤول عن: اختيار "المضرب" أي أضيق نقطة في النهر، وتحديد عدد الركائز

حسب سرعة الجريان صيفاً وشتاءً، وتقدير ارتفاع الجسر بحيث لا يغمره فيضان "العشرين" الذي يحدث كل 20 سنة[19].

وكان لقب "أسطة جسر" رأسمالاً رمزياً يمنح صاحبه وجاهة تتجاوز قريته. ولا يُسمح لأحد بمباشرة العمل إلا بعد أن "يأذن" الأسطة. ونقل المهنة يتم عبر "الملازمة" حيث يعمل الابن مع أبيه 10 سنوات قبل أن يصبح أسطة مستقلاً. وهذا يفسر اندثار المهنة بموت الأسطوات بعد 2003، لأن المعرفة لم تُكتب بل "سكنت الصدور"[20].

المبحث الثاني: الجسر الخشبي بوصفه فضاءً اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً

المحور الأول: الجسر كمركز للحياة الاقتصادية اليومية

1. سوق عفوي على المداخل: اقتصاد الظل وبروتوكولاته:

لم يكن مدخل الجسر مجرد نقطة بيع، بل نظام اقتصادي عرفي متكامل له قوانينه غير المكتوبة. فباعة السمك من أهالي الجزيرة يحتلون "صدر الدكة" أي الجانب المواجه للشمس صباحاً، بينما باعة القيمر والخضار يأخذون "الطرف الظليل"[21]. وظهرت مهنة "دلال الجسر" وهو وسيط يتقاضى "كومسيون" 5% لتسهيل بيع المواشي التي تُجلب من الصوب الآخر[22].

والمقولة "رزقته على باب الجسر" لا تعني البيع المضمون فقط، بل تعني أن الجسر يمنح "شرعية" للبائع أمام المشتري، فلا أحد يغش على باب الجسر خوفاً من "فضيحة العشاير" [23]. وكان الجسر يفرض "ضريبة تضامن" عرفية: كل فلاح يعبر بمحصوله يترك "حصّة الفقراء" عند "شيخ الجسر" وهو عادة رجل كبير السن فقير يجلس دائماً هناك[24]. هذا النظام جعل الجسر أول شكل من أشكال "الضمان الاجتماعي" في الريف الأنباري.

2. ديوان مفتوح لكبار السن: السلطة الناعمة للمكان

تحولت "دكة الجسر" بعد العصر إلى برلمان شعبي مصغر. فالمختار وشيخ العشيرة يحضران دون دعوة، وتُعرض عليهم القضايا الخلافية الصغيرة: حدود أرض، سعر محصول، خلاف على ساقية[25]. والحكم الصادر على دكة الجسر ملزم أدبياً أكثر من الحكم في المظيف، لأن "خشب الجسر شاهد" حسب التعبير المحلي[26].

وصوت الخشب "الصرير" تحت الأقدام لم يكن إزعاجاً، بل كان "مؤشر أمان اجتماعي". فصمت الجسر يعني أن لا أحد يمر، وهذا نذير خطر أو فيضان[27]. لذا يقول كبار السن: "الجسر لو سكت، القلوب تفز"[28]. هذه العلاقة السمعية جعلت الجسر "كائناً حياً" في اللاوعي الجمعي.

3. الجسر كحدود نفسية واجتماعية: إنتاج "الآخر" المحلي

قسّم الجسر المدينة الواحدة إلى "صوبين" بهوية اقتصادية ونفسية مختلفة. فـ "أهل الجزيرة" يُوصفون بـ "الخشنين" لقسوة العمل الزراعي، و"أهل الشامية" بـ "الحذرين" لاشتغالهم بالتجارة[29]. وكان عبور الصبي إلى الصوب الآخر دون سبب واضح يثير استجواباً: "شعندك بصوبهم؟" [30].

هذا الفصل أنتج "صوراً نمطية" متبادلة، لكنه في الوقت نفسه أنتج "تكاملاً وظيفياً": الجزيرة تطعم الشامية، والشامية تسوّق محصول الجزيرة. فالجسر كان يفصل ليصل، ويُقسّم ليوحّد[31]، وهذا ما يفسر لماذا كان تدمير الجسر 2006 صدمة نفسية أعمق من تدمير البنايات، لأنه دمر "وحدة الأضداد" التي عاشتها المدينة قرناً.

المحور الثاني: الجسر في دورة حياة الفرد الأنباري: من المهد إلى اللحد

1. طقس الزفة: الجسر كجسر أنثروبولوجي للمرور

عبور العروس الجسر مشياً، محمولة بـ "الهودج" على دابة أو على الأكتاف، هو طقس "مرور" Rite of Passage بالمعنى الأنثروبولوجي. فهي تعبر من حالة "البنت" في بيت أهلها إلى حالة "الزوجة" في بيت زوجها، والجسر هو "العتبة" Liminal التي تفصل الحالتين[32].

وتتعمد النساء "دگ الخشب" بأرجلهن بقوة لإحداث أعلى صوت ممكن، لأن الصوت يصل للصوب الثاني كإعلان وإشهار للزواج[33]، وكلما كان الصوت أعلى، كان فخر أهل العروس أكبر. وإذا كان الجسر "ساكت" يوم العرس لانشغال الناس، تُعتبر "فشلة"[34]. وإذا لم تعبر العروس الجسر أصلاً بسبب وجود جسر كونكريتي بديل، تُعد "زواجها ناقص" عرفياً، ويظل ذلك "منقصة" تُذكر بها عند كل خلاف.

2. طقس الجنازة: الجسر كمحطة العبور الأخير

إذا كانت المقبرة في الضفة الأخرى، يتوقف موكب الجنازة إجبارياً وسط الجسر حتى لو كان المطر شديداً. وهذا التوقف ليس للاستراحة، بل لـ "استئذان النهر" بدفن الميت في أرضه[35]، ويُقرأ

الفاتحة، ويُرش الماء على الخشب "تبريداً لروح الميت" و"غسلاً لذنوبه"، لأن الماء جارٍ والجريان يرمز للتطهير [36].

هذا الطقس منح الجسر قدسية مؤقتة، وربطه بثنائية الحياة/الموت. فهو المكان الذي يُزف فيه العريس للحياة، ويُودع فيه الميت للآخرة. ولذلك يسميه كبار السن "جسر الدنيا والآخرة"[37]. وتدمير الجسر يعني عملياً قطع "طريق الآخرة" في المتخيل الشعبي، وهو ما يفسر الغضب الشعبي العارم عند تفجيره 2006.

3. مسرح الحكاية والعلاقات: الجسر كفضاء للهوية والتمرد

كان الجسر أهم "فضاء ثالث" Third Place في حياة المجتمع بعد البيت والمسجد، حسب مفهوم أولدنبورغ. ففيه تتم أهم ثلاثة أشياء: اللعب، الحب، التمرد.

أ. اللعب: "شقاوات" الأطفال تمثلت بالقفز من الجسر للسباحة في "الغميج" أي المكان العميق، وتحدي "من يعبر ركيض" دون توقف رغم الخطر. والفائز يُلقب "سبع الجسر" لسنة كاملة[38]. هذا اللعب كان مدرسة للشجاعة والتوازن.

ب. الحب: كان الجسر المكان الوحيد الذي يمكن فيه للفتاة والشاب تبادل النظرات دون رقيب، بحجة "العبور". وطقس "رمي المنديل" من الفتاة ليلتقطه الشاب هو أشهر وسيلة إعلان حب غير مباشر [39]. وإذا التقطه، فهذا يعني قبول الخطوبة.

ج. التمرد: كان المراهقون يتحدون سلطة الأهل بالوقوف على "حافة الجسر" أو المشي على "حزام الجسر" الخشبي الخارجي. ومن يقدر يفعلها يُعد "زلمة" ولا يُرد له طلب[40]

هذه الاستخدامات الثلاثة حولت الجسر من "لامكان" Non-place وظيفي إلى "مكان" Place محمل بالعاطفة والهوية الفردية والجمعية، حسب نظرية يي–فو تْوان (Tuan, 1977 كما في الحديثي، 2018). [41]

المحور الثالث: الجسر كفاعل في تشكيل الزمن الاجتماعي واللغوي

1. الجسر تقويماً: زمن المجتمع لا زمن الساعة

قبل انتشار الساعات، كان الجسر هو من يضبط إيقاع اليوم. فـ "وكت العبارة" هو الفجر، و"وكت الدكة" هو العصر، و"وكت السكتة" هو منتصف الليل عندما يتوقف العبور[42]، كما ضبط

إيقاع السنة: "قبل الفيضان" لتفكيك الجسر، "ورا الفيضان" لإعادة بنائه، "بموسم التمر" لحراسته. فالجسر كان "ساعة" و"رزنامة" المجتمع.

2. الجسر لغةً: معجم كامل من الاستعارات

دخل الجسر في اللغة اليومية كاستعارة لأكثر من 20 دلالة: "فلان جسر" أي يستغله الجميع. "خلك جسر" أي تحمل الأذى. "عبر الجسر" أي تجاوز المحنة. "وكف بالنص" أي متردد. "صرير جسر" أي كلام فارغ. "انهد الجسر" أي خربت العلاقة. وهذا الغنى اللغوي دليل على مركزية الجسر في الذهن الجمعي، فالمجتمعات لا تشتق استعاراتها إلا من الأشياء التي تعيشها يومياً [43].

المبحث الثالث: موت الجسر وحياته في الذاكرة: الاندثار والتمثلات 2003–2026

المحور الأول: الجسر في المخيال الشعبي: من الحكاية إلى النوستالجيا

1. الجسر كبطل في الحكاية الشعبية: الميثولوجيا المحلية كآلية مقاومة

لم يكن الجسر في الذاكرة الشعبية مجرد معبر، بل تحوّل إلى شخصية سردية لها أفعال وأخلاق. فانتشرت عشرات الحكايات التي تُؤنسن الجسر وتجعله فاعلاً. أشهرها حكاية "سباح الجسر" وهو شاب أسطوري كان يرابط تحت جسر الرمادي لإنقاذ من يسقط، ويُقال إنه أنقذ 14 طفلاً ومات غرقاً في فيضان 1963 [44]. وحكاية "سمكة الجسر" في هيت، وهي سمكة عملاقة تسكن تحت الركيزة الوسطى وتحرس الجسر من الغرق، ولا يجرؤ أحد على صيدها لأنها "مبروكة" [45].

هذه "الميثولوجيا المحلية" لم تكن للتسلية، بل كانت آلية ثقافية لمقاومة هشاشة الجسر. فإضفاء صفات البطولة والقداسة عليه هو تعويض رمزي عن ضعفه الإنشائي، ووسيلة لإقناع الأطفال بالابتعاد عن الحافة [46]. كما أن حكاية "جسر حديثة الذي ابتلع فيضان 1963 ولم ينهار" تُروى كدليل على أن "النية الطيبة للبنائين" أقوى من الإسمنت[47]. وهذا يفسر لماذا استمر الناس باستخدام الجسر حتى وهو متهالك: لأنهم يثقون بأسطورته أكثر من ثقتهم بالخشب.

2. الجسر في النص الأدبي الشعبي: معجم كامل للعواطف

حضر الجسر في ثلاثة أنماط أدبية شعبية رئيسة، جعلت منه استعارة مركزية للوجدان الأنباري:

أ. الأبوذية والدارمي: توظيف الجسر كـ "مسرح للفراق". المثال الأشهر: "عَ الجسر وگفت آنه أنطر... جيتك يحبي وما مريت / وصار الصبر مثل الخشب... من كثر ما مشوا عليه وگضيت" (ديوان

شعبي، جمع الباحث، 2025). هنا الجسر شاهد على الخيبة،والصبر مُشبه بالخشب الذي تدوسه الأقدام.

ب. الهوسات العشائرية: توظيف الجسر كرمز للصمود. "جسرنا لو تهدم نصه... باقي نصه ويعبر الناس" تُقال في الحروب لتحفيز المقاتلين[48].

ج. الغناء الريفي: أغنية "يا جسر الخشب لا تنهد" التي كانت تغنيها النساء عند توديع المسافرين، تحولت بعد 2003 إلى مرثية.

هذا الحضور الكثيف دليل على أن الجسر اخترق كل طبقات الخطاب، من العاطفي إلى الحماسي إلى الطقسي[49].

3. نوستالجيا الخشب مقابل برودة الكونكريت: صراع الحواس

يجمع كل الرواة دون استثناء على ثنائية حسية حادة: الخشب = حي، دافئ، يسمع، يتنفس مقابل الكونكريت = ميت، بارد، أخرس، أصم، وهذا ليس وصفاً شاعرياً، بل توصيف فينومينولوجي دقيق. فالجسر الخشبي يصدر "صريراً" يتغير حسب وزن العابر وعدد العابرين ودرجة الرطوبة، فيخلق "حواراً سمعياً" بين الإنسان والمكان[50]. كما أن اهتزازه ينقل إحساساً جسدياً مباشراً بأنك "محمول" وأن الجسر "يتعب لأجلك".

أما الكونكريتي فـ "لا يحس بيك" حسب تعبير الحاج خلف الدليمي (92 سنة). وهذا الصراع الحسي هو جوهر نوستالجيا المكان (Place Nostalgia). فالحنين ليس للماضي فقط، بل لـ "نمط إحساس" بالمكان فُقد. فالمدينة الحديثة كسبت الأمان لكنها خسرت "الحميمية السمعية–الحسية" التي يوفرها الخشب[51]. وهذا يفسر لماذا يزور كبار السن موقع الجسر القديم ليس للنظر، بل ليضعوا أيديهم على التراب ويقولوا "هنا كان يصرخ تحت رجلينا".

المحور الثاني: تفكيك أسباب الاندثار المادي بعد 2003

1. السبب الأمني المباشر: التدمير المتعمد كتكتيك حرب

خلال عمليات "السندان" و"الفجر" 2005–2007، تحوّل الجسر من "معبر" إلى "سلاح". ووثقت الدراسة تفجير 6 جسور خشبية رئيسة: جسر التأميم/الرمادي آذار 2006، جسر البغدادي 2005، جسر حديثة الشرقي 2007، جسر الخالدية 2006، جسر النساف 2005، جسر القائم 2007 [52] [53].

الفاعل كان مزدوجاً: الجماعات المسلحة فجرته لقطع طريق إمداد القوات الأمريكية والحكومية، واعتبرته "شركاً استراتيجياً" (بيانات منشورة، 2006). والقوات الأمريكية فجرته في حالات أخرى لـ "حرمان العدو من ملاذ آمن"، خاصة بعد استخدام قناصة للجسر كـ "موقع محصن". وكان تفجير جسر التأميم الأشهر، لأنه عزل 70 ألف نسمة في حي التأميم عن مستشفى الرمادي لعامين، وتسبب بوفاة 11 مريضاً لم يستطيعوا العبور[54]. وهذا التدمير أنهى الوظيفة المادية للجسر بشكل سريع وقسري.

2. السبب التقني–الاقتصادي: موت الوظيفة مقابل منطق التنمية

حتى لو لم يُفجّر، كان الجسر الخشبي سيموت "موتاً سريرياً" لثلاثة أسباب بنيوية:

أ. عامل الحمولة: الحمولة القصوى 5 طن، بينما شاحنات الإعمار والوقود بعد 2003 تزن 40 طناً. فأصبح الجسر "خطراً على التنمية" لا "مساعداً لها" [55].

ب. عامل الكلفة: صيانة الجسر الخشبي سنوياً تكلف 15 مليون دينار بالأسعار القديمة، بينما كلفة الجسر الكونكريتي تُدفع مرة واحدة ويخدم 50 سنة. وفي منطق "إعادة الإعمار" المدعوم دولياً، الخشب خاسر دائماً[56].

ج. عامل الصورة: ربطت الحكومات المحلية بعد 2008 بين "الكونكريت" و"السيادة" و"الدولة الحديثة"، وبين "الخشب" و"المؤقت" و"الضعف" و"الإرهاب". فصار إزالة الجسر الخشبي فعلاً سياسياً يعلن "عودة الدولة"[57]. لذا استُبدلت كل الجسور المتبقية بجسور حديدية عسكرية مؤقتة "جسور بيلي" حتى قبل توفر موازنة الكونكريتي.

3. السبب الاجتماعي–الثقافي: موت الفزعة واندثار المعرفة كـ "موت بطيء"

هذا هو السبب الأعمق والأخطر، لأنه يفسر لماذا لم يُعاد بناء أي جسر خشبي حتى في القرى الآمنة بعد 2008.

المبحث الرابع: الجسر في قلب العاصفة: الحصار والحرب والاندثار الممنهج 1990–2003

المحور الأول: العودة القسرية للجسر الخشبي في سنوات الحصار 1990–2003

1. الجسر كشريان مقاومة اقتصادية واجتماعية في ظل الحصار الدولي

أدى فرض الحصار الاقتصادي على العراق في آب 1990 إلى شلل شبه كامل في قطاع الإنشاءات. فتوقفت مشاريع الجسور الكونكريتية بسبب منع استيراد الإسمنت والحديد، وتوقف صيانة الجسور الحديدية القائمة لنقص قطع الغيار[58]، هذا الانهيار الإنشائي فرض على سكان القرى والجزر النهرية "عودة قسرية" إلى الجسر الخشبي بوصفه الحل الوحيد الممكن.

وتحول الجسر الخشبي خلال 1990–2003 إلى ثلاثة أدوار جديدة:

أ. جسر تهريب البضائع: كان "جسر البغدادي الخشبي" هو المعبر الرئيس لتهريب الطحين والسكر من سوريا عبر القائم، بعيداً عن سيطرات الطرق الرئيسية. وظهرت مهنة "عبرة الليل" وهم شباب يخاطرون بعبور الجسر ليلاً بأكياس تزن 50 كغم مقابل 5000 دينار[59]. وكانت "صرخة الخشب" ليلاً تعني أن "الرزق قادم" لأهالي الجزيرة، وتحول صرير الخشب إلى "شفرة أمان" يعرفها المهربون: الصرير المتقطع يعني سيطرة قريبة، والصمت يعني العبور الآمن.

ب. جسر الصمود الزراعي: مع انهيار شبكات الري الحكومية، عاد الفلاحون لزراعة "الشلبي" و"الخضار" في جزر الفرات لأنها لا تحتاج مضخات. وصار الجسر الخشبي هو الوسيلة الوحيدة لنقل المحصول يومياً إلى أسواق المدينة. تشير تقديرات محلية إلى أن 70% من الخضار في سوق الرمادي 1995–2002 دخلت عبر جسر التأميم الخشبي[60]. فأنقذ الجسر الخشبي الأمن الغذائي للمدينة وقت الحصار.

ج. جسر العبور الطائفي الصامت: مع بداية التوتر الطائفي 2003–2006، كان الجسر الخشبي هو المعبر "المحايد" الوحيد. فالجسور الكونكريتية عليها سيطرات رسمية تدقق الهويات، بينما الجسر الخشبي في القرى النائية ظل بلا سيطرة حتى 2005. لذا استخدمته العوائل المختلطة للهروب والزيارة، وصار يسمى شعبياً "جسر الغيبوبة" لأنه خارج سلطة الدولة[61]. وهذا الدور الإنساني هو ما جعله هدفاً عسكرياً لاحقاً، لأن كل طرف اعتبره "يخدم العدو".

2. الجسر كضحية أولى لحرب 2003 وما بعدها: من العبور إلى التفجير

مع دخول القوات الأمريكية في نيسان 2003، تحولت وظيفة الجسر بين ليلة وضحاها من "شريان حياة" إلى "نقطة قتل". وتوثق الدراسة ثلاثة أطوار لاستهدافه:

الطور الأول: القصف العشوائي نيسان 2003: خلال معارك "تحرير الرمادي"، قصفت المدفعية جسر التأميم الخشبي باعتباره "محتملاً لعبور الفدائيين". ولم يكن الهدف تدميره بل "إخافته" لمنع الاستخدام. استشهد 3 مدنيين كانوا يعبرون وقت القصف[62]. هذه كانت أول دماء تسيل على خشب الجسر بعد عقود من السلم.

الطور الثاني: التفخيخ والكمائن 2004–2005: مع تصاعد المقاومة، زرعت الجماعات المسلحة عبوات ناسفة تحت "الدكة" الوسطى للجسر، لأنها النقطة التي تتوقف فيها الدوريات الأمريكية للتفتيش. وفي المقابل، استخدم القناصة الأمريكان "صندل" الجسر المرتفع كموقع محصن. فصار الجسر "ساحة قتل" لا "جسر عبور". وامتنع الأهالي عن استخدامه نهاراً، واقتصر العبور على "عبور الموت" ليلاً.

الطور الثالث: التفجير الشامل 2005–2007: اتخذ قرار تدمير الجسور الخشبية من الطرفين كـ "ضرورة تكتيكية". فالجماعات المسلحة فجرته لقطع طريق الإمداد ومنع اقتحام الأحياء، واعتبرته "شركاً استراتيجياً" والقوات الأمريكية والعراقية فجرته لـ "حرمان العدو من ملاذ آمن" و"إجبار المدنيين على استخدام الجسور المراقبة". وكان تفجير جسر التأميم آذار 2006 هو الأكثر دموية، لأنه عزل 70 ألف نسمة عن مستشفى الرمادي، وتسبب بوفاة 11 مريض غسيل كلى و3 نساء حوامل لم يستطعن العبور[63].

هذا التدمير الممنهج حوّل الجسر من مكان معيش (Milieu de Mémoire) إلى مكان صدمة (Traumatic Site) بين 2003–2007، ومهد لتحوله لاحقاً إلى مكان متخيل (Lieu de Mémoire) بعد 2014.

المحور الثاني: الجسر في السرديات المتضاربة: رواية الدولة مقابل رواية الناس 2003–2014

1. السردية الرسمية: "الجسر البائد رمز التخلف والإرهاب"

تبنت الحكومات المحلية بعد 2008 خطاباً يربط بين الجسر الخشبي وثلاث تهم:

أ- التخلف: فهو "من مخلفات العهد البائد" ويجب إزالته لإظهار "عراق جديد".

ب- الإرهاب: فهو "ممر القاعدة" و"جسر المفخات" ويجب تفجيره لأسباب أمنية.

ت- العشوائية: فهو "بناء غير مرخص" و"يشوه الوجه الحضري للمدينة" [64]. ولهذا لم يتم تعويض أي متضرر من تفجيره، ولم يُدرج في خطط إعادة الإعمار حتى كـ "تراث"، بل أُزيلت أنقاضه بسرعة "لمحو الذكرى".

2. السردية الشعبية المضادة: "الجسر الشهيد ضحية الجميع"

في المقابل، أنتجت الذاكرة الشعبية سردية مختلفة تماماً تُحمل في الأبوذية والدارمي والمنشورات الفيسبوكية بعد 2014. وتقوم على 3 أركان:

أ. التضحية: "الجسر انهدم حتى نحيا... دفع دمه وما مشينا عليه".

ب. الحياد: "الجسر ما كان مع احد... كان للكل، ولذلك كلهم ذبحوه".

ج. البراءة: "خشبة ما تعرف طائفة... اللي عبرها هو اللي تكفّر"[65]. هذه السردية حوّلت الجسر من "متهم" إلى "شهيد"، ومن "خشب" إلى "رمز للمظلومية الجمعية".

3. صراع السرديات وأثره على الإحياء:

هذا التضارب هو السبب الرئيس لفشل كل محاولات إعادة بناء جسر خشبي رمزي بعد 2014. فأي مشروع لترميمه يُفهم رسمياً كـ "تمجيد لحقبة الإرهاب"، بينما إهماله يُفهم شعبياً كـ "استمرار لظلم الدولة". فبقي الجسر معلقاً بين "مطرقة الأمن" و"سندان الذاكرة" [66]. وهذا ما يفسر لماذا انبعث الجسر رقمياً فقط، لأن الفضاء الأزرق هو المكان الوحيد الذي لا يحتاج موافقة أمنية.

تحول الفضاء العام المرتبط بالجسر إلى مخزن للذاكرة الجمعية، إذ ارتبطت به ممارسات اجتماعية وطقوس عابرة للزمن منحت المكان معنى يتجاوز وظيفته الوظيفية ليصبح علامة هوية محلية[67].

المبحث الخامس: بعث الجسر من رماده: الذاكرة الرقمية ومشاريع الإحياء 2014-2026

المحور الأول: فيسبوك بوصفه "جسراً رقمياً": من الفضاء الأزرق إلى الأرشيف الشعبي

1. آليات البعث الرقمي: الصورة، التعليق، الوسم

بعد 2014 وتحرير المدن، انفجر الحنين في الفضاء الأزرق عبر ثلاث آليات رئيسة رصدها التحليل الكمي لـ 10,000 تعليق:

أ. "حرب الصور": صارت الصورة النادرة للجسر الخشبي "عملة رمزية" تمنح ناشرها "رأسمال نوستالجيا". وأغلى الصور هي "جسر التأميم 1982" و"جسر البغدادي والماء تحته". ويتعمد الناشرون وضع علامة مائية "أرشيف آل فلان" لتأكيد الملكية الرمزية. ووصل سعر الصورة الأصلية الممسوحة ضوئياً إلى 25 ألف دينار في مزادات المجموعات.

ب. "طقس التعليق الجماعي": لا يُكتب "الله يرحم أيام الجسر" فرادى، بل في "سلاسل" تصل 300 تعليق متطابق. وهذا الطقس الرقمي يحاكي "الفزعة" القديمة، لكن بدل "خشبة" يقدم كل مشارك "تعليقاً"، وبدل "الزاد" تقدم "اللايكات". فصار التعليق فعلاً تضامنياً لا رأياً[68]

ج. "وسم الذاكرة" #جسر_الطيبين #جسرنا_الخشبي: تحوّل الوسم إلى "أرشيف شعبي" يمكن البحث فيه. وبلغ عدد المنشورات بوسم #جسر_الرمادي_الخشبي 3,400 منشور حتى آب 2025. وهذا الأرشيف، رغم فوضويته، صار أغنى من أي أرشيف رسمي، لأنه يضم صوراً عائلية لم ترها الدولة قط.

تعرضت البنية التحتية للرمادي لأضرار واسعة خلال العمليات العسكرية، إذ أدى استهداف الجسور إلى عزل الأحياء السكنية عن المراكز الخدمية لفترات طويلة، مما فاقم من الأزمة الإنسانية وغيّر من أنماط الحركة اليومية للسكان[69].

2. وظائف المجموعات: من النوستالجيا إلى إنتاج المعرفة

لم تقتصر المجموعات على البكاء، بل أنتجت 4 وظائف لم تقم بها المؤسسات:

أ. التوثيق التشاركي Crowdsourcing: عندما ينشر أحد صورة جسر، يعلق 50 شخصاً: "هذا 1979 لأن النخلة توها مزروعة"، "لا هذا 1981 لأن بيتي المربع مبني". فتتحول الذاكرة الجمعية إلى "كربون مشع" لتأريخ الصور بدقة تفوق المؤرخين[70] [71].

ب. إعادة بناء الخريطة الذهنية: عبر تجميع التعليقات، تمكن الباحث من رسم خريطة 11 جسراً خشبياً بمواقعها الدقيقة على Google Earth، اعتماداً على وصف "يم بيت فلان" و"قريب نخل بيت فلان". وهذه خريطة لا تملكها بلدية الرمادي.

ج. نقل المعرفة الشفهية: نشر أحفاد الأسطوات مقاطع فيديو قصيرة يشرحون فيها "شلون چان ينحط الصندل" بناءً على ما سمعوه من أجدادهم. وهذا "تاريخ شفهي من الدرجة الثانية" لكنه الوحيد المتبقي.

د. العلاج الجمعي: تحليل التعليقات أظهر أن 68% منها تتضمن كلمات "راحة، حنين، أمان، طفولة". فالمجموعة صارت "عيادة نفسية جمعية" لمعالجة صدمة الحرب عبر استدعاء "المكان الآمن" المفقود[72].

3. حدود البعث الرقمي: ذاكرة متخيلة ومخاطر التزييف

هذا البعث ليس حفظاً بريئاً، بل له 3 مخاطر موثقة:

أ. "تجميل الماضي": 90% من المنشورات تحذف ذكر "الخطر، الغرق، سقوط الأطفال" وتركز على "الرومانسية". فتُنتج ذاكرة Postmemory للجيل الجديد الذي لم يعبر الجسر، فيظنه "جنة" بينما كان "ضرورة خطرة" [73].

ب. "تزييف الصور بالذكاء الاصطناعي": ظهرت منذ 2024 صور مولدة بالذكاء الاصطناعي لجسور خشبية "مثالية" لم توجد أصلاً، ويتم تداولها كـ "صورة نادرة". وهذا يلوث الأرشيف الشعبي ويصعّب مهمة الباحث المستقبلي.

ج. "احتكار الذاكرة": بعض أدمنية المجموعات يحذفون أي تعليق يذكر "تفجير الجسر" أو "الطائفية" بحجة "نريد نتذكر الزين بس". فيتحول الأرشيف إلى "ذاكرة معقمة" لا تصلح للبحث العلمي، وتكرس "النسيان الانتقائي" بدل "الحفظ".

المحور الثاني: من الأزرق إلى الإسمنت: مشاريع الإحياء وصدامها بالواقع 2018–2026

1. جرد مشاريع الإحياء: 6 محاولات و6 إخفاقات

رصدت الدراسة 6 محاولات لإحياء الجسر مادياً، كلها فشلت:

المشروع	السنة	الجهة	سبب الفشل
مجسم جسر هيت	2018	بلدية هيت	اعتُبر "هدر مال عام" وأُزيل بعد شهرين
"دكة جسر" في متنزه الرمادي	2019	متطوعون	رفضت البلدية بحجة "تشويه بصري"
مشروع تخرج 3D لجسر البغدادي	2021	جامعة الأنبار	بقي حبيس القرص الصلب لعدم التمويل

مقترح "جسر ذاكرة" معلق	2022	ناشطون رفض أمني	"يعيق الرؤية الأمنية للنهر"
فعالية "يوم الجسر الخشبي"	2023	منظمات مجتمع مدني	مُنعت: "تثير النعرات"
طلب إدراج ضمن اليونسكو	2024	مثقفون رُفض	"لا يوجد موقع مادي متبقٍ"

القاسم المشترك للفشل هو "الصراع بين الذاكرة الشعبية والسردية الرسمية" المذكور في المبحث الرابع. فالدولة تريد "نسياناً تنموياً"، والناس تريد "تذكراً علاجياً".

2. تشخيص أسباب الفشل: مثلث العرقلة

أ. العرقلة الأمنية: أي جسم على النهر يعتبر "عائقاً للرصد" و"محتملاً للتهريب". والذاكرة تقول إن الجسر كان "ممر تهريب" أيام الحصار، فلا يريد الأمن تكراره[74].

ب. العرقلة البيروقراطية: لا يوجد بند في الموازنة اسمه "إحياء ذاكرة". ولا يمكن إدراجه ضمن "السياحة" لأنه ليس موقعاً أثرياً مسجلاً، ولا ضمن "الإعمار" لأنه ليس بنية تحتية وظيفية. فهو "لقيط مؤسساتي" لا تتبناه أي وزارة.

ج. العرقلة الاجتماعية: الجيل الجديد 70% من سكان الأنبار تحت 30 سنة، لا يرى جدوى من "خشب ميت". ويسأل: "بفلوس المجسم ابنوا مدرسة". فالحنين ليس أولوية في مجتمع 40% منه تحت خط الفقر[75].

3. الخاتمة العملية: خارطة طريق "الإحياء الممكن" 2026–2030

بناءً على فشل 6 مشاريع، تقترح الدراسة "الإحياء التسللي" لا "الإحياء الصدامي" عبر 3 مسارات لا تحتاج موافقة مركزية:

المسار الأول: الإحياء الميكروي اللامركزي: بدل مجسم عملاق، 100 "دكة جسر" صغيرة 2م×2م من الخشب والكونكريت توزع في مدارس وحدائق الأحياء، كل دكة عليها QR يروي قصة الجسر. الكلفة 200 ألف للدكة، لا تثير حفيظة الأمن، وتخلق "ذاكرة جوالة".

المسار الثاني: الإحياء الرقمي السيادي: تطبيق AR "جسور الأنبار" بتمويل جامعي لا حكومي. لا يحتاج موافقة أمنية لأنه "في الهاتف"، لكنه ينجز "الصدمة الحسية" عند الموقع. ويمكن بيعه للسياح بـ 1 دولار لدعم الاستدامة.

المسار الثالث: الإحياء التشريعي الناعم: عدم المطالبة بـ "إعادة بناء"، بل بـ "تثبيت لوحة تعريفية" برونزية 50سم×50سم في موقع كل جسر، مكتوب عليها: "هنا كان يعبر جسر [الاسم] الخشبي". هذه اللوحة قانونية، رخيصة، لا تعيق أحداً، لكنها تكسر "النسيان الممنهج" وتحوّل الموقع من "لا–مكان" إلى "مكان ذاكرة" رسمياً.

إن فشلت 6 محاولات "كبرى"، فقد تنجح 100 محاولة "صغرى". فالجسر الخشبي مات لأنه كان كبيراً وواضحاً ومستهدفاً. وليحيا، يجب أن يعود صغيراً، متفرقاً، ورقمياً، حتى يكبر من جديد في ذاكرة الأجيال.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى أن الجسور الخشبية في محافظة الأنبار نشأت كحل عملي فرضته طبيعة نهر الفرات وحاجة السكان للتواصل بين ضفتيه قبل توسع شبكة الجسور الكونكريتية. وقد ارتبطت نشأتها الأولى بمرحلة ما قبل 1950، ثم شهدت انتشاراً ملحوظاً حتى سبعينيات القرن العشرين، لتصبح عنصراً مألوفاً في المشهد الجغرافي والاجتماعي للمنطقة.

وأظهرت الدراسة أن هذه الجسور لم تقتصر على الوظيفة النقلية، بل لعبت دوراً اقتصادياً في نقل المحاصيل والبضائع، ودوراً اجتماعياً وثقافياً تمثل في ارتباطها بطقوس الغيور والزواج والموت، مما منحها قيمة رمزية في الذاكرة الشعبية. غير أن أوضاعها تراجعت بشكل حاد خلال فترة الحصار الاقتصادي 1990–2003، حيث عادت للاستخدام كضرورة معيشية، ثم تعرضت لاحقاً للإهمال والتدمير المنهجي نتيجة الحروب والعمليات العسكرية.

وبعد عام 2003 دخلت الجسور الخشبية مرحلة الاندثار المادي، لكنها انتقلت إلى حيز الذاكرة الرقمية بعد عام 2014، حيث أعيد إنتاجها عبر السرد الشفهي ومجموعات التواصل الاجتماعي. وقد فشلت معظم مشاريع إحيائها لافتقارها إلى التوثيق العلمي والدعم المؤسسي.

وتوصل البحث الى الاستنتاجات الاتية:

1. الجسر الخشبي في الأنبار للفترة 1950–1980 كان فضاءً اجتماعياً وثقافياً وليس مجرد منشأة هندسية.
2. العمارة التقليدية للجسر عكست العلاقة بين المجتمع والبيئة النهرية، وساهمت في تشكيل الهوية المكانية للمدينة.
3. تدمير الجسور خلال 2014–2017 أدى إلى قطيعة مكانية ونفسية بين السكان ونهر الفرات.
4. الموروث الشفهي المرتبط بالجسر غني ولم يوثق أكاديمياً من قبل، ويشمل ذكريات وأهازيج وطقوساً محلية.
5. التوثيق الرقمي الحالي يركز على الشكل المادي ويهمل البعد الرمزي والشفهي للجسر.
6. إعادة الاعتبار للجسر تتطلب مقاربة تجمع بين التوثيق المعماري والحفظ الشفهي بوصفه جزءاً من الهوية الثقافية للأنبار.

وعليه، توصي الدراسة بمشروع "الذاكرة الخشبية" للتوثيق العاجل عبر المقابلات الميدانية والأرشفة الرقمية ثلاثية الأبعاد، باعتباره مدخلاً لحفظ هذا الموروث قبل اندثاره مع رحيل الجيل الشاهد، ولتوظيفه في سياقات التنمية الثقافية والسياحة التراثية بالأنبار.

الهوامش:

(1) إبراهيم خليل السامرائي، دراسات في الفولكلور العراقي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2010)، ص 45.

(2) أحمد سعيد الجميلي، تاريخ مدينة هيت، ط2، (دمشق: دار الينابيع، 2001)، ص 33.

(3) خالد العاني، جغرافية الأنبار البشرية، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1989)، ص 67.

(4) مقابلة ميدانية مع [الحاج محمود خلف الدليمي، 87 عاماً]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(5) أحمد سعيد الجميلي، تاريخ مدينة هيت، ط2، (دمشق: دار الينابيع، 2001)، ص 35.

(6) خالد العاني، جغرافية الأنبار البشرية، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1989)، ص 68.

(7) أرشيف مديرية بلدية الرمادي، قرار قائممقامية الرمادي رقم 62/114 بتاريخ 1962/5/7، ملف الجسور 1950–1970، [وثيقة غير منشورة].

(8) طارق محمد الدليمي، التراث العمراني في وادي الفرات الأوسط، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015)، ص 78.

(9) مقابلة ميدانية مع [العميد المتقاعد ناجي عبدالله]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(10) مقابلة ميدانية مع [م. ناجي عبدالله]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(11) جريدة المدى، "تدمير جسر التأميم يقطع الرمادي نصفين"، العدد 589، 15 مارس 2006، ص 3.

(12) أحمد سعيد الجميلي، تاريخ مدينة هيت، ط2، (دمشق: دار الينابيع، 2001)،

(13) طارق محمد الدليمي، التراث العمراني في وادي الفرات الأوسط، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015)، ص 82.

(14) الشمرري، أحمد عبد الله، العمارة التقليدية في مدن الفرات الأوسط وتأثيرها على الهوية المكانية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 2014، ص 67.

(15) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 48.

(16) مقابلة ميدانية مع [الأسطة جاسم محمد، 80 عاماً، آخر بنائي جسر البغدادي]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(17) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، ص 201.

(18) طارق محمد الدليمي، التراث العمراني في وادي الفرات الأوسط، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015)، ص 82.

(19) مقابلة ميدانية مع [حفيد الأسطة حميد المشهداني]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(20) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 50.

(21) مقابلة ميدانية مع [الحاجة أم ستار، 90 عاماً]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(22) خالد العاني، جغرافية الأنبار البشرية، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1989)، ص 70.

(23) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، 203.

(24) أحمد سعيد الجميلي، تاريخ مدينة هيت، ط2، (دمشق: دار الينابيع، 2001)، ص 88.

(25) خالد العاني، جغرافية الأنبار البشرية، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1989)، ص 70.

(26) مقابلة ميدانية مع [الحاج طه]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(27) طارق محمد الدليمي، التراث العمراني في وادي الفرات الأوسط، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015)، ص 99.

(28) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 55.

(29) إبراهيم خليل السامرائي، دراسات في الفولكلور العراقي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2010)، ص 112.

(30) مقابلة ميدانية [متعددة]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(31) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، ص 215.

(32) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 60.

(33) طارق محمد الدليمي، التراث العمراني في وادي الفرات الأوسط، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015)، ص 101.

(34) مقابلة ميدانية مع [الحاجة فاطمة علي، 85 عاماً]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(35) أحمد سعيد الجميلي، تاريخ مدينة هيت، ط2، (دمشق: دار الينابيع، 2001)، ص 102.

(36) إبراهيم خليل السامرائي، دراسات في الفولكلور العراقي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2010)،

(37) مقابلة ميدانية مع [السيد جبار]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(38) مقابلة ميدانية مع [جيل الستينات]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(39) طارق محمد الدليمي، التراث العمراني في وادي الفرات الأوسط، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015)، ص 104.

(40) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، ص 220.

(41) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، ص 220.؛

Y. F. Tuan, Space and Place: The Perspective of Experience, (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1977).

(42) إبراهيم خليل السامرائي، دراسات في الفولكلور العراقي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2010)، ص 115.

(43) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 70.

(44) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 67.

(45) مقابلة ميدانية مع [الحاج سعدون، 85 عاماً]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(46) إبراهيم خليل السامرائي، دراسات في الفولكلور العراقي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2010)، ص 120.

(47) مقابلة ميدانية [متعددة]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(48) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، ص 250.

(49) إبراهيم خليل السامرائي، دراسات في الفولكلور العراقي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2010)، 120.

(50) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 75.

(51) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، ص 301.

(52) جريدة المدى، "تدمير جسر التأميم يقطع الرمادي نصفين"، العدد 589، 15 مارس 2006، ص 3.

(53) بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، تقرير عن حالة البنى التحتية في محافظة الأنبار 2003–2007، (بغداد: مكتب يونامي، 2008)، ص 23.

(54) أرشيف قناة الأنبار، 2006؛ شهادة د. عامر الجميلي، 2025.

(55) طارق محمد الدليمي، التراث العمراني في وادي الفرات الأوسط، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015)، ص 120.

(56) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 98.

(57) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، 322.

(58) وزارة الإعمار والإسكان، تقرير داخلي عن حالة الجسور في المحافظات 1990–1994، (بغداد: وثيقة غير منشورة، 1994).

(59) مقابلة مع الحاج خليل إبراهيم، 68 سنة، 2025.

(60) طارق محمد الدليمي، التراث العمراني في وادي الفرات الأوسط، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015)، ص 115.

(61) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 88.

(62) أرشيف جمعية الهلال الأحمر العراقي (فرع الأنبار)، تقارير الإغاثة خلال عمليات الرمادي آذار–نيسان 2003، (وثيقة غير منشورة).

(63) أرشيف قناة الأنبار، 2006؛ شهادة د. عامر الجميلي، 2025.

(64) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، ص 325.

(65) مقابلة ميدانية مع [الحاجة فاطمة، 85 عاماً]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(66) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 102.

(67) الحديثي، محمد خليل، "الذاكرة الجمعية للفضاء العام في مدن الأنبار"، مجلة المدارات للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد 8، 2020، ص 210.

(68) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 110.

(69) العبيدي، علي حسين، التحولات العمرانية والاجتماعية في مدينة الرمادي بعد 2003، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأنبار، 2016، ص 112.

(70) Burke P., New Perspectives on Historical Writing, (Cambridge: Polity Press, 1991), p. 10.

(71) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)، ص 90.

(72) فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018)،ص 340.

(73) سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)،

(74) مقابلة ميدانية مع [ضابط]، الرمادي/هيت، آب–أيلول 2025.

(75) بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، تقرير عن حالة البنى التحتية في محافظة الأنبار 2003–2007، (بغداد: مكتب يونامي، 2008).

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب والدراسات الأكاديمية:

1- إبراهيم خليل السامرائي، دراسات في الفولكلور العراقي، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2010.

2- أحمد سعيد الجميلي، تاريخ مدينة هيت، ط2، دمشق: دار الينابيع، 2001.

3- خالد العاني، جغرافية الأنبار البشرية، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1989.

4- سالم فاضل العبيدي، الأنثروبولوجيا المكانية: مقاربات في المكان العراقي، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.

5- طارق محمد الدليمي، التراث العمراني في وادي الفرات الأوسط، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015.

6- فائز صالح الحديثي، المكان والذاكرة: دراسة في جغرافية الإنسان، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018.

7- محمد خليل الحديثي، الذاكرة الجمعية للفضاء العام في مدن الأنبار، مجلة المدارات للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد 8، 2020.

ثانياً: التقارير والوثائق الرسمية والأرشيفية:

1. أرشيف بلدية الرمادي، إحصاء الجسور الخشبية على نهر الفرات، وثيقة رقم 1970/17، الرمادي، 1970.
2. أرشيف جمعية الهلال الأحمر العراقي (فرع الأنبار)، تقارير الإغاثة خلال عمليات الرمادي آذار- نيسان 2003، (وثيقة غير منشورة).
3. أرشيف مديرية بلدية الرمادي، قرار قائممقامية الرمادي رقم 62/114 بتاريخ 1962/5/7 بخصوص تخصيص تمويل جزئي لإنشاء جسر الجزيرة الخشبي، ملف الجسور 1950-1970، [وثيقة غير منشورة].
4. بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، تقرير عن حالة البنى التحتية في محافظة الأنبار 2003-2007، بغداد: مكتب يونامي، 2008.
5. وزارة الإعمار والإسكان، تقرير داخلي عن حالة الجسور في المحافظات 1990-1994، بغداد: (وثيقة غير منشورة)، 1994.

ثالثاً: المقابلات الميدانية والمسوح:

1- مجموعة مقابلات ميدانية (الحاج محمود خلف الدليمي، العميد م. ناجي عبدالله، الأسطة جاسم محمد، وآخرون)، أجراها الباحث في الرمادي وهيت وحديثة، آب-أيلول 2025.

2- مقابلة عبر الإنترنت مع الفنان التشكيلي ماهر الكبيسي (هولندا)، أجراها الباحث بتاريخ 2025/9/3.

3- مسح ميداني وإحصاء للجسور الخشبية التاريخية والشهود الأحياء في الأنبار، إعداد الباحث، آب 2025.

4- مقابلات جماعية مع أهالي هيت ونازحي 2006، مخيم الحبانية، تاريخ 2025/2/5.

رابعاً: الصحافة والمصادر الرقمية والسمعية:

1. أرشيف عائلة آل الكبيسي (البغدادي)، مجموعة صور فوتوغرافية لجسر البغدادي للفترة 1960-1980.

2. تحليل محتوى رقمي لتعليقات ومجموعات الذاكرة على فيسبوك (أهل الرمادي القديمة، صور من هيت)، إعداد الباحث، 2025.
3. جريدة المدى، "تدمير جسر التأميم يقطع الرمادي نصفين"، العدد 589، بغداد، 15 مارس 2006.
4. قناة الأنبار المحلية، تغطية مصورة لتفجير جسر التأميم الخشبي، أرشيف آذار 2006.
5. مدونة "أدباء الرافدين في المنفى"، ديوان جسر من خشب وحنين، 2021.
6. مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، بيان تبني تفجير جسر الرمادي، أرشيف عام 2006.

خامساً: الرسائل والأطاريح الجامعية

1- أحمد عبد الله الشمري، العمارة التقليدية في مدن الفرات الأوسط وتأثيرها على الهوية المكانية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 2014.
2- علي حسين العبيدي، التحولات العمرانية والاجتماعية في مدينة الرمادي بعد 2003، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأنبار، 2016.

سادساً: الكتب الانكليزية

1- Peter Burke, New Perspectives on Historical Writing, Cambridge: Polity Press, 1991.
2- Yi-Fu Tuan, Space and Place: The Perspective of Experience, Minneapolis: University of Minnesota Press, 1977.